مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد الخامس

1988م.

- المعارف اللازمة للداعية
- المحاولات الإستعمارية لتقويض الإسلام في الجزائر
- منهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي
- الفكر التربوي بين الأصالة والتغريب
- جامعة الزهراء جامعة علمية يخسرها العالم الإسلامي

المحاولات الاستعمارية
لتقويض الإسلام في الجزائر

الدكتور
عبد الحليم اللاربد

إن محاولة التعرف على موقف فرنسا من الإسلام من خلال الدوافع التي أدت بها إلى غزو الجزائر سنة 1830 لن تجدي فتيلاً، فالمؤرخون يجمعون تقريباً على أن تجهيز الحملة وتوقيتها نما لأسباب فرنسية داخلية بحتة. وليس من المجدي كذلك التوقف طويلاً عند موقف الحكومة الفرنسية التي نفذت الحملة، من الإسلام والمسلمين، فالثورة التي اندلعت بباريس وأطاحت بالسلالة البربونية المباشرة بعد أسابيع قليلة من دخول قواتها

مدينة الجزائر قد خلقت وضعاً جديداً ورجالات مختلفين[1]. ولقد شهد القرن الماضي تعاقب أنظمة سياسية متباينة جداً على الحكم في فرنسا وانعكست السياسة الفرنسية وثوراتها على التصرف الاستعماري بالجزائر رغم أن السياسة الاستعمارية الفرنسية احتفظت باستمراريتها مع ذلك، كما ظل الجزائريون في عدائهم العنيد للوجود الدخيل في بلادهم. فكان في شكل مقاومة مسلحة أحياناً وفي شكل مقاومة سلبية أحياناً أخرى ـ وفي أثناء ذلك تهاطل على الجزائر عشرات الألوف بل مئوها من الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين بين مغامر ومستعمر وحالم بتطبيق اشتراكية طوباوية أو بإعادة أمجاد الأمبراطورية الرومانية أو بتنصير الأهالي ـ غير أن الاستعماريين سرعان ما أدركوا أن ألدّ خصم لهم في الجزائر هو الإسلام[2] فَبَنَوْا سياستهم إزاءه استناداً على اقتناعهم بمعاداة الإسلام والمسلمين لوجودهم بالجزائر.

وسنحاول في هذا البحث ـ معتمدين على المصادر الفرنسية دون سواها ـ أن نحدد الخطط التي أعدتها السلطات الاستعمارية لمواجهة العداء الإسلامي.

نصت وثيقة الإستسلام التي وقعها بمدينة الجزائر يوم 5 يوليو 1830 كل من حسين داي وقائد الحملة الفرنسي على «حرية إقامة شعائر الدين المحمدي»(*) وعلى عدم المساس بحرية كل طبقات الأهالي ولا بدياناتهم ولا بممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم.[3].

وليس من اليسير معرفة مدى صدق الفرنسيين في وعدهم ذلك إذ ربما كان وعدهم لأسباب سياسية وعسكرية ـ غير أن ذاك الوعد الصريح ظل الفيصل بين

---

(1) لقد قصدت حكومة شارل العاشر (24 -1830) بحملة الجزائر إظهار قدرتها على تسجيل أمجاد حربية تضاهي أمجاد الثورة الفرنسية وبخاصة بطولات نابليون ـ واعتقدت أن نصراً عسكرياً سيضمن لها كسب الانتخابات المزمع إجراؤها ـ غير أن ثورة يوليو 1830 أدت إلى سقوط السلالة البربونية المباشرة وتنصيب لويس فيليب (30-1948) ملكاً مناصراً للبرجوازية وللجانب المعتدل من الثورة.

(2) ينظر ماسكاريه حيث قال: «إذا كان لنا من واجب في الجزائر فهو محاربة الإسلام عدونا الدائم في جميع أشكاله» ص 12 من العدد التاسع لمجلة كلية التربية... Fawzia Sliman: L'Oeuvre de Prosélytisme.

(*) كثيراً ما نجد على أقلام المسيحيين تسمية الإسلام بالدين المحمدي.

(3) Rozet et Carette, **Algérie** ص 264.

الجزائريين الذين ما انفكوا يذكرون به مستعمريهم كلما أوجسوا خيفة على دينهم[4] وبين الفرنسيين الذين لم يتنكروا له قط ولا تنصلوا منه عبر تقلبات نظمهم وتباين وجهات نظر حكامهم. هذا على الصعيد النظري، أما في الواقع فالأمر مختلف، والوثائق الفرنسية لتلك الفترة تحمل في طياتها حالات لا تعد من التعدي على المساجد وتدنيس المقدسات.

ولقد استطاع جانتي دي بوسي Genty de Bussy الذي عين معتمداً مدنياً للمستعمرة الجديدة أن يعرف أن مدينة الجزائر كانت تحوي قبل الغزو الفرنسي أكثر من ثمانين مدرسة وأن هذا العدد تقلص «إلى النصف بسبب هجرة المدرسين والبيوتات واحتلال العديد من الفصول الدراسية»[5] وتضيف (إيفون توران) معلقة على ذلك بأن المقصود «بالفصول الدراسية ليس سوى المساجد». فمن المعلوم أن المساجد هي التي كانت تتخذ مدارس في أغلب الأحيان حتى إن أحد كتاب تلك الفترة (دي نوفو De Neveu) قد عرف الزاوية بأنها في ذات الوقت «مسجد ومدرسة وملجأ وقاعة اجتماعات ومكتبة ومستشفى ومكتب دعاية تتبادل فيه الأنباء»[6].

ولا يخفى على أحد أن مسجداً من أكبر مساجد مدينة الجزائر قد حوله حاكم الجزائر وقائد عام جيش إفريقيا الفرنسي الجنرال (روفيغو Rovego) إلى كنيسة كاتدرائية وتذكر المصادر أن أحمد أبو دربة وكيل أوقاف مكة المكرمة والمدينة المنورة وعضو بلدية الجزائر ساعده على ذلك[7]. ولما تأسست أبرشية الجزائر عام 1838، أصبحت تلك الكنيسة مقراً للأبرشية وظلت على ذلك حتى الاستقلال[8]. ولم تكن مساجد مدينة الجزائر وحدها التي عانت من هذا التدنيس، فقد حول أحد مساجد عنابة كذلك إلى كنيسة[9].

---

(4) Marcel Emerit, **Le Problème de la conversion des musulmans d'Algérie Revue Historique** (Janvier- mars) 1960.

(5) Turin المصدر السابق ص 46.

(6) المصدر السابق ص 111.

(7) Ch. A. Julien, **Histoire de L'Algérie contemporaine,** tome I ص 75.

(8) المصدر السابق ص 73.

(9) المصدر السابق ص 160.

كما أن مساجد أخرى تم الاستيلاء عليها وتصرف فيها المستعمرون كما لو كانت ملكاً لهم. فعندما أعرب (جانتي دي بوسي) للحكومة الفرنسية عن رغبته في فتح مدرسة للتعليم المتبادل يعلم فيها العرب لغتهم للفرنسيين ويعلم فيها الفرنسيون لغتهم للعرب، استأذن باريس في شغل أحد المساجد لذلك طمأن رؤساءه قائلاً بأن المسجد المذكور هو مسجد سوق الجمعة الذي قد آل إلى أملاك الدولة[10] وكان تعليق أحد المسؤولين بباريس: «لكنه من القهر حمل المسلمين على استقبال اليهود (طلاباً) في المساجد»

ولعل ما قاله أحد قادة الاحتلال، الجنرال (لاموريسيير)[*] أجرأ اعتراف جاء على لسان أساطين الاستعمار فقد دعا بني جلدته إلى فهم معارضة الجزائريين العنيدة للوجود الفرنسي قائلاً:

«عندما حللنا بمدينة الجزائر، استولينا على المعاهد (أي المساجد) فحولناها إلى مخازن وثكنات واسطبلات ولقد انتهبنا أموال المساجد والمعاهد، ولقد أريد تطبيق مبادىء الثورة الفرنسية على الشعب العربي، لكن لسوء الحظ، لم ير المسلمون في ذلك سوى هجوم عنيف على دينهم وحنث بالعهد»[10].

أما أموال المساجد والمدارس المنوه عنها آنفاً فهي أملاك الأوقاف التي استولى عليها الفرنسيون بدءاً من دخولهم الجزائر حيث ضموا إليهم أملاك المبرة التي كانت توقف أموالاً على الحرمين الشريفين مكة والمدينة، بمقتضى مرسوم صدر يوم 8 سبتمبر 1831[12]. ثم اتبعوا ذلك بوضع أيديهم على كافة أملاك الأوقاف، تلك المؤسسة التي كانت تدير المدارس ودور العبادة، وبذلك شكل هذا الاعتداء على موارد المسجد والمدرسة ضربة قاصمة للإسلام وشعائره وانتشاره عبر المدارس. ويبرر المرسوم القاضي بضم هذه الأملاك هذا الإجراء: «فلا يمكننا أن نترك إدارة حسابات بهذا الأهمية لرجال دين يحق لنا الارتياب في

---

(10) Turin المصدر السابق ص 42.

(*) Lamorciere.

(11) المصدر السابق ص 119.

(12) Rozet et Carette المصدر السابق ص 268.

موقفهم منا»[13]. ولا شك أن رجالات الأسرة المالكة الجديدة نسجوا تجاه المؤسسة الدينية الإسلامية على منوال الثورة الفرنسية التي صادرت أملاك الكنيسة فأضعفت بذلك عدواً خطيراً وضمنت للدولة وخزينتها دخلاً كانت في أمس الحاجة إليه، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مَلَكية يوليو تعد وريثة الجانب المعتدل من الثورة الفرنسية، لذلك كثيراً ما عانى المسلمون بالجزائر من إجراءات كانت أساساً قد اتخذت ضد الكنيسة. فبلانجيني أحد جنرالات الاحتلال عندما يعلن بأن «القانون الديني لن يكون أساساً للتعليم»[14] إنما كان يحاول أن يطبق على المجتمع الإسلامي ما كان يطبق على المجتمع الفرنسي. كما نجد من بين الساسة الكثير ممن غلبت عليهم عقلية القرن الثامن عشر المعادي للكنيسة فتأثروا بآراء (فولتير Voltaire) و(ديدرو Diderot) وغيرهما من فلاسفة العصر. فكانوا لا يعيرون الدين، أي دين، الاهتمام اللازم ولم يستطيعوا بالتالي تقدير عامل الدين بالجزائر حق قدره[15]. ولا فهم العقلية الإسلامية بشكل عام.

والوثائق الفرنسية للسنوات الأولى من الاحتلال تظهر مدى ما كان الغزاة يولونه من اهتمام لتغيير تلك العقلية وجعلها تحد من «غلوائها» في التصدي للاستعمار وربما لجعلها تتبنى نمط العيش الأوروبي والحضارة الأوروبية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن غالبية كتاب تلك الفترة ومسؤوليها كانوا يتحاشون الكلام عن الدين تجنباً لإثارة مخاوف الأهالي فيفضلون الحديث عن الحضارة[16]. وهم يعنون بهذه العبارة حضارتهم هم، لا حضارة غيرهم. وتعترف (توران) في هذا الصدد بأنه من غير اليسير على المرء في حياته العملية التمييز بين ما هو للدين وما هو للحضارة[17]. والملاحظة الآخرى هنا هو اعتداد المستعمرين بأنفسهم وثقتهم المفرطة بسموهم على من سواهم. فهم واثقون أن من تعرف عليهم لا شك آخذ

---

(13) Turin ص 113.
(14) المصدر السابق ص 299.
(15) المصدر السابق ص 118.
(16) المصدر السابق ص 300.
(17) المصدر السابق ص 300.

بأسباب حضارتهم ومحتذ حذوهم وسائر على نهجهم[18] ولم يكونوا يدركوا أن المسلمين كانت تتجاذبهم عاطفة الرثاء لحال أولئك المغرورين وشعور الازدراء بهم. ولكي يشعر الجزائريون بالميل إلى نمط العيش الفرنسي ينبغي أن يعجبوا به أولاً والحال أن ذلك الإعجاب كان منعدماً تماماً لديهم [19]. ولقد بلغ سوء الفهم بالفرنسيين إلى حد أنهم كانوا يريدون إغراء الجزائريين بإرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية فيلوحون لهم بتغيير المجتمع العربي الذي سيصبح مثل المجتمع الفرنسي. وما دروا أن أخشى ما يخشاه الآباء من المدارس الدخيلة هو بالذات هذا التغيير[20] وأن ذلك هو الذي يجعلهم يرفضون إرسال أبنائهم للدراسة عند الدخلاء.

إلا أننا نجد من بين الفرنسيين من فهم منذ البداية أن لا مجال للقضاء على العداء الساكن قلوب الرجال. لذلك كان (جانتي دي بوسي) يرى عدم التعويل عليهم بل على النشيء فقد كتب يقول: «إن المدرسة هي السبيل الوحيدة لترسيخ الوجود الفرنسي بافريقيا. فالعرب الآن ضدنا باستمرار واليهود أشحاء جبناء ومنافقون وإننا لن نصل إلى أي شيء إلا بتخطي جيل وكل ما خلا ذلك فوهم وحلم»[21]. وهذه الآراء قد واكبت في الواقع الشعارات التي كانت تطلق من أجل ما يسمى اليوم بالغزو الثقافي من أمثال «التعليم من أجل الغزو» أو «العلاج من أجل الغزو» والغزو المقصود هو غزو القلوب بعد أن غزا السلاح البلاد[22].

لكن، ألم يكن الجزائريون يتعلمون؟ ألا تذكر المصادر الفرنسية أن نسبة المتعلمين من الذكور كانت تبلغ عندهم قبل الغزو نحواً من أربعين بالمائة؟[23] إن المدرسة المتحدث عنها هي المدرسة الفرنسية. أما المدرسة الإسلامية فهي مصدر البلاء في نظر ساسة الاستعمار. ولعل ما ذكرنا من تقليص عدد المدارس إلى

---

(18) إن كتابات تلك الفترة تزخر بالآراء القائلة بأن الجزائريين إن لم ينساقوا وراء الغزاة ولم تستهوهم حضارتهم فما ذلك إلا لأن هؤلاء لم يعرفوا الفرنسيين حق المعرفة.

(19) Turin المصدر السابق ص 417.

(20) المصدر السابق ص 73.

(21) المصدر السابق ص 42.

(22) المصدر السابق ص 11.

(23) المصدر السابق ص 127.

النصف في مدينة الجزائر يقوم شاهداً على ما حاق بالتعليم الإسلامي بالجزائر، ولم تكن «الزوايا» في الدواخل أوفر حظاً، فبعد ربع قرن من بداية الغزو ظل «الفرنسيون يخربون الزوايا» التي كانت بمثابة مدارس عليا. ولم يفت المسلمين آنذاك أن المستهدف هو الإسلام فكانوا يردون على ذلك بإحراق المباني التي كانت «ترمز في رأيهم إلى الحضور المسيحي»[24]. أما ضرب الزوايا فمرده إلى اعتقاد المستعمرين بأنها متورطة في كل الانتفاضات التي قامت في البلاد فهي «بؤر تآمر» عند الجنرال (بلانجيني) وهي ملاجيء لغلاة الدين والدعاة المتعصبين في رأي الجنرال بيدو وهي «بؤر تمرد» في رأي (دوق أومال DOC d'Aumale) وحاكم الجزائر[25].

إن هذه النعوت المغدقة على المدارس إنما اكتسبتها هذه من نوع التعليم الذي كان يدرس فيها ومن المدرسين الذين كانوا يعلمون بها والذين ظل الفرنسيون يطلقون عليهم اسم (طلبة) كما كانوا يسمون المتصوف من رجال الدين (مرابط) وهي تسميات كانت سائدة في الجزائر. فكيف كانت نظرة المستعمرين لهؤلاء المدرسين والذين كانوا في ذات الوقت أئمة الصلاة ومتطببين أحياناً؟ تجمع الوثائق على اعتبارهم العدو الأول للوجود الفرنسي بالجزائر. فيذكر أحد تقارير تفتيش التعليم سنة 1854 أن كل (الطلبة) «لا يعرفون تدريس سوى كره كل ما هو فرنسي»[26]. ونجد تقارير لنفس الفترة تلاحظ «أن المعلم له واجب أول هو إثارة تعصب تلاميذه» وتعترف نفس التقارير أن هذا الحقد متفش في الشعب «وأن المدرِّس الذي لا يبدي مغالاة مفرطة في التعصب الديني ضد الفرنسيين لا يحصل على تلميذ واحد يدرسه» وأن «صفوف الطلبة أي صفوف ما يزعم بالمثقفين هم من يكنون لنا أشد الضغائن»[27]. وكتب (كانتريل) مفتش التعليم الابتدائي في هذا الصدد: «إن المعلمين من الأهالي العاملين الآن، المشبعين بمبادئهم الخاطئة والذين يحركهم حقد دفين ضد المسيحيين ويعميهم التعصب يحاولون دوماً جاهدين، إبعاد الناشئة عنا وهي الفئة الوحيدة التي يمكننا

---

(24) المصدر السابق ص 242.

(25) المصدر السابق ص 137.

(26) المصدر السابق ص 208.

(27) المصدر السابق ص 225.

التعويل عليها»[28]. وكتب آخر يقول عنهم بأنهم «وهم الموجودون في كل مكان، ألد وأحقد أعدائنا»[29] ولنسق آخر مثل من هذه الآراء المدينة للمعلمين المسلمين، وهو رأي كتب سنة 1867:

«إن الذين يدرسون الآن لقاء كسرة خبز وزاوية في خيمة خطرهم أكبر من نفعهم. فهم جهلة متعصبون ولا يألون جهداً لإفساد عقول الأطفال وإيغار صدورهم علينا، دون فائدة تنمي ذكاءهم»[30].

ولا ندري أكان سوء الفهم أو سوء النية هو ما دفع بعضهم إلى تبرير هذا العداء الراسخ الذي ما انفك يبديه رجال الدين تجاه الدخلاء. إذ ظن البعض أن هذه المعارضة الشديدة مردها إلى الحالة المادية المتردية التي آل إليها هؤلاء بعد مصادرة أموال الأوقاف وإلى حرمانهم من مرتباتهم تبعاً لذلك[31]. والحال أن المحللين أولئك لو عكسوا لأصابوا. إذ لم تضع السلطات الاستعمارية يدها على أموال الأوقاف إلا لمحاربة رجال الدين ومؤسساته بعدما رأت منهم ما رأت من عداء لا يفتر كما رأينا آنفاً[32].

على أن سوء حال رجال الدين المسلمين نتيجة تلك المضايقة لا ينكره المؤرخون. والقليل من الأمثلة نسوقها هنا يكفي شاهداً على ذلك. فالقس (لاندمان Landmann) يذكر أن أسقف الجزائر فوجيء ذات مرة لدى خروجه من صلاة المساء بقسطنطينة بجمع غفير من العرب جلهم من الشيوخ الوقورين ذوي اللحى البيضاء، جاؤوا يشكون سوء حالهم المادية ويرجون الأسقف التوسط لصالحهم[33] وإن الإمعان في إذلال رجال الدين المسلمين كان يبلغ حدوداً تثير أحياناً سخط النزهاء من الفرنسيين أنفسهم. ففي سنة 1853، كان مدير أحد المعاهد يبحث عن إمام لتلاميذه كأنما يريد بذلك طمأنه الأهالي على دين

(28) المصدر السابق ص 108.
(29) المصدر السابق ص 123.
(30) المصدر السابق ص 246.
(31) المصدر السابق ص 113.
(32) المصدر السابق ص 112.
(33) المصدر السابق ص 113.

أبنائهم. وكان الراتب المعروض لتلك الوظيفة لا يبلغ ثلثي راتب أبسط عفير بالمعهد ولا حتى نصفه. فكان تعليق رئيس إدارة تعليم مدينة الجزائر أن قال: «لقد وعدنا العرب بأن نحترم دين أبنائهم (في مدارسنا) وهم سيحكمون على صدق نيتنا بنوع المدرس (الطالب) الذي نختاره لهم وخاصة بقيمة الراتب الذي نرتبه له»[34].

لقد رأينا فيما سبق محاربة التعليم الديني والمؤسسات الدينية عبر الاستيلاء على الأموال المحبسة عليها وعبر هدم المدارس والمساجد ومصادرتها وتدنيسها وعبر محاربة المدرسين والزج بهم إلى الفقر والعوز ودفعهم إلى الهجرة إلى البلدان المجاورة وحتى إلى الاسكندرية[35] فماذا عن المناهج ذاتها؟ وعن التعليم بشكل عام؟.

لم يجمع ساسة الاستعمار على موقف موحد من التعليم، في بداية الاحتلال على الأقل، فلقد وجد من ينادي بدعم الدراسات الإسلامية «لأن انحطاطها فسح المجال أمام التعصب الجاهل المرتاب الوحشي»[36] وإن كان أغلبهم يرون في المناهج الإسلامية الخطر الماحق على وجودهم. ولئن كان الأمير (دوق أومال) إبان حكمه الجزائر يميل إلى «بعث التعليم العربي التقليدي الذي كان يراد منه فقط تبني موقف أقل عداء للاحتلال الفرنسي»[37] فإن أغلب الساسة كانوا ضد ذلك التعليم، ففريق كان يرى إلزام المدارس الأهلية بالاقتصار على تدريس القرآن دون سواه كذلك المدير الذي كان يرى منع المدرسين بمدرسته من تفسير القرآن وشرحه[38] أما الجنرال (بيدو Bedeau) فلم يكن يخشى تدريس القرآن بقدر ما كان يخشى المواعظ والتحريض ضد المسيحيين الذي كان يواكب تدريسه[39].

غير أن عدم خضوع تلك المدارس الأهلية للرقابة الفرنسية كان يقض

---

(34) المصدر السابق ص 278.
(35) المصدر السابق ص 71.
(36) المصدر السابق ص 116.
(37) المصدر السابق ص 209.
(38) المصدر السابق ص 123.
(39) المصدر السابق ص 218.

مضجع الاستعماريين الذين ما عادوا يثقون في تفتيش المدارس من قبل المسلمين فرأوا ضرورة فرض إشراف فرنسي مباشر كما نادوا بفصل المسجد عن المدرسة [40] ليتسنى لهم إحكام تلك الرقابة. وأغلب الظن أنهم كانوا يراهنون على الزمن الذي ظنوه كفيلاً بإخماد نار المقاومة. لكن صبرهم عيل لما رأوا من ثبات المسلمين في عدائهم للغزاة. فأخذت لهجتهم تحتد ضد التعليم الإسلامي وما عادوا يحتملون ما كانوا يريدونه من المدارس الإسلامية. ففي عام 1871 كتب الحاكم العام يقول: «أنا لا أميل إلى إلغاء المدارس التي تخضع لزيارة أولى الشأن ومراقبتهم. لكني لن أسمح بالمدارس التي تقتصر على تدريس القرآن، زوايا كانت أم غيرها»[41] كما نادى (هوغونيه)، أحد رؤساء المكاتب، بأطأرة القبائل العربية بعناصر أوروبية إذا أريد النجاح لتعليم العرب؛ ويقول: إننا لكي نؤثر في مستعمرينا ينبغي «أن يعرفنا كل عربي عن غير طريق القرآن ومن غير أفواه أتباعه المتعصبين»[42].

أليس في ذلك أكثر من دليل على إخلال الفرنسيين بوعدهم باحترام القيام بالشعائر الدينية وحرية المعتقد؟.

تقول (توران): «إن السلطات لم تفكر قط في هدم التعليم الإسلامي هَدْماً عملياً في حد ذاته ولا حتى في علمنته ولا في فرنسته. بل كان الرأي تركه يموت ميتة طبيعية وتجاهله ومنافسته ولكن عدم مهاجمته مهاجمة علنية»[43].

وإننا لنجد لهذا الرأي صدى عند بعض كتاب تلك الفترة ـ فشارل ريشار مثلاً، كتب عام 1845: «إننا من جانبنا، لا نرى غضاضة في أن تنهار تلك المؤسسات (المدارس العربية) وفي أن يعود الشعب العربي إلى جاهلية العصور الغابرة، عندئذ سيكون بإمكاننا تعليمه وجعله ينقاد إلينا عبر التربية»[44] ومضى الزمن، يزداد التشدد فيصبح إعمال المعول شيئاً مرغوباً فيه ـ فالجنرال (دوكروا)

---

(40) المصدر السابق ص 285.

(41) المصدر السابق ص 207.

(42) المصدر السابق ص 205.

(43) Lasnier,... **Le Siècle des Révolutions,** Tunis 1967 ص 343.

(44) نفس المصدر والصفحة.

كتب عام 1864: «علينا إعاقة نمو المدارس الإسلامية والزوايا وليكن هدفنا باختصار تجريد الأهالي من أسلحتهم المعنوية والمادية»[45].

ولا بد من وقفة هنا عند كتاب صدر في أربعينيات القرن الماضي يتحدث فيه مؤلفه (دي نوفو) عن دور الإسلام في المقاومة ـ ويحاول فهم الأمير عبد القادر فينسب إليه أفكاراً لا يستبعد أن تكون أفكار المؤلف نفسه ـ فبعد هزيمة المجاهد العربي يرى أن الحرب الدائرة بين العرب والفرنسيين قد تحولت إلى حرب بين الإسلام والمسيحية ويرى (دي نوفو) أن انتصار السلاح قد ترك قوة الدفاع المعنوي سليمه لدى المسلمين وهي قوة لا يمكن للهزائم العسكرية التي لحقت بهؤلاء أن تأتي عليها[46].

ولعل هذا ما عناه الحاكم (ماك ماهون Mac Mahon) حين قال سنة 1869: «إن البلاد قد قهرت ولكنها ما دانت لنا البتة»[47] وهنا يتقهقهر العسكري ليفسح المجال أمام المعلم الذي عليه أن ينجز ما فشل فيه المقاتل[48] وبذلك يتحدد دور المدرسة المراد إنشاؤها.

إن الباحث عن الهدف من تعليم الجزائريين كما يريده الفرنسيون يجد نفسه أمام فيض من الأقوال التي يدعم بعضها البعض ويمكننا الاكتفاء بسوق طائفةمن هذه الآراء التي تبدو ذات دلالة أكثر من غيرها:

1 ـ لانتزاع السكان المسلمين من تعصبهم الذي يقصيهم عن حضارتنا، ولرفع مستواهم المعنوي والفكري، ليس لفرنسا من وسائل أكثر فعالية من التعليم الابتدائي[49].

---

(45) Turin المصدر السابق ص 111.

(46) المصدر السابق ص 415.

(47) ينظر **Entretien à couteaux tirés: Quel théatre pour le Maghreb? Jeune Afrique,** No 210, 1964.

حيث يقول الكاتب مالك حداد بمرارة: «إن المحتل الحقيقي الملتصق بجلدتنا ليس (بوجو) فهذا يمكن طرده، إن المحتل الموجود داخلنا هو موليير».

(48) Ch. A. Julien, **L'Afrique du Nord en marche** المصدر السابق ص 38.

(49) Turin المصدر السابق ص 11.

2 ـ إن التعليم يزودنا بوسيلة ممتازة لإضعاف نفوذ رجال الدين ونفوذ رجال التعليم وباعة التمائم والمشعوذين الـذين لا ينفكون يناصبون العـداء التيار الفرنسي[50].

3 ـ إن الجهل سبب من أسباب التعصب الديني[51].

4 ـ وإن ما رمت إليه إحدى المغامرات التي عرفت باسم (أليكس) أحياناً و(لوس) أحياناً أخرى ليظهر ما كان يمثل هاجساً عند الفرنسيين لتلك الفترة ألا وهو تهدئة البلاد والتأثير على السكان وجعلهم يقبلون بالسيطرة الفرنسية. فقد فكرت في إنشاء مدرسة للبنات المسلمات وحصلت على دعم من عدة جهات وخاصةمن أسقف الجزائر، لكنها آثرت مخاطبة وزيرالدفاع عارضة خدماتها لقاء مساعدة بسيطة لمدرستها وهي تعد بتوفير 19 إلى 20٪ من مصاريف الجيش الفرنسي، ونورد بعضاً من حججها لكسب تأييد الوزير:

«أنتم لا تجهلون، يا سيادة الوزير، أن أقوى تأثير في افريقيا كما في أوروبا هو تأثير المرأة. فلو هديتم (واللفظة تستعمل عادة للدين) إلى حضارتنا مائة ألف فتاة من الأهالي، يؤخذون من كل طبقات المجتمع ومن كل أجناس الإيالة.. فإن هؤلاء الفتيات إذ يصبحن بطبيعة الحال الزوجات المفضلات لأهم رجال طبقاتهن سيكفلن خضوع البلاد إلى الأبد وسيشكلن ضماناً أكيداً لاندماجه المقبل». وكان تعليق الوزير على هامش الرسالة: «نعم رغم ما في ذلك من المبالغة، لكن ربما تضمن ذلك شيئاً من الصحة»[52].

ولقد ذهبت إلى حد تقديم المساعدة لطالباتها إغراء لهن بالتسجيل في مدرستها وكانت تفخر أن كان البؤس والجوع مساعديها الحقيقيين. وما من شك في أن تلك المساعدة المادية التي عمدت إلى تقديمها بعض المدارس قد زادت في ريبة الأهالي الذين ما زادهم ذلك إلا نفوراً.

---

(50) المصدر السابق ص 18.

(51) المصدر السابق ص 54.

(52) المصدر السابق ص 72.

ولقد وقفت السلطات العليا موقفاً حازماً من قضية اللغة فقد رأت ضرورة تدريس اللغة الفرنسية لإشعار الأهالي أنها السبيل الوحيدة للترقي وبلوغ الدرجات العلى في الوظائف[53]. ولأن «لتعلم اللغة قيمة نفعية مع أنها أكثر من ذلك فهي التي تقود المرء دون أن يدري «في أثرنا ولكي يسير على منوالنا»[54].

ونجد نفس الفكرة تتكرر على أقلام العديد من المسؤولين الذين يرون أن التحول في عقول الشباب المسلم لن يتم إلا بواسطة اللغة الفرنسية التي تعلمهم عادات الفرنسيين وتقاليدهم ومؤسساتهم[55].

أما كيف يكون التغيير فقد فصل كذلك على ألسنة المنظرين، فما ينبغي بلوغه مع الشباب المسلم هو زعزعة إيمانه: زعزعة ثقته بمدرسيه وبالمعلومات غير العلمية التي يمكن إقامة الدليل على بطلانها بكل يسر ـ وهي معلومات وخرافات لا تمت إلى الدين بصلة غير أنها تشكل خير سلاح للنفاذ إلى عقول الناشئة وإدخال الشك إليها فالشك عندهم طريق إلى التنصير.

فهذا مدير إحدى المدارس يعبر عن أمله بلوغ زعزعة إيمان طلابه بخصوص عصمة بعض الكتب الدينية ليظهر خطأها من الناحية العلمية ـ «وتلك بذرة تزرع في عقول الشباب تؤتي أكلها أفضل من دراسة سيدي خليل أو جوهرة التوحيد»[56].

ولم يكن المسؤولون في عجلة من أمرهم بل كانوا يعملون في تؤدة وعلى مهل كي لا يثيروا شكوك المسلمين ونفورهم، وكتب حاكم الجزائر (ماك ماهون) سنة 1865: «إن ما ندرسه في المعاهد العربية الفرنسية بالجزائر لا يوحي بالشك في الأفكار الدينية فما يهم في الساعة الراهنة هو جعل المسلمين يقبلون بالتعليم»[57] كأنما يريد أن يقول أن ساعة التشكيك لم تحن بعد ـ غير أنها حانت

---

(53) المصدر السابق ص 41.

(54) المصدر السابق ص 210 وكذلك **L'Afrique du Nord** المصدر السابق ص 30.

(55) المصدر السابق ص 25.

(56) المصدر السابق ص 295.

(57) المصدر السابق الصفحات 71 وما بعدها.

عند غيره ـ فقد رأى (فلمان) ولم يكن سوى رئيس مكتب، قبل ذلك بعشرين سنة إعمال المعول:

«ينبغي إيقاظ الذكاء مع حماية الدين والتقاليد بصمت لَبِقٍ سَمْحٍ وتَرْكِ العقل المتحرر يقرر الشكل واللحظة المناسبين لرد الفعل الديني والاجتماعي. فنتفادى بذلك كل الأخطار. فهناك غطاء ينبغي تمزيقه وهو غطاء يستر لدى الكثيرين أعز الأوهام مثل تقاليد الأسرة واحترام الجدود وكبرياء العقيدة ـ وينبغي الوصول بالمسلمين إلى كشف الغطاء بأنفسهم فإن العمل الصريح من جانبنا سيُعَدُّ عملاً مارقاً ومدنّساً» وهو ينصح كذلك بعدم التصدي للتعصب الديني (!) عند المسلمين «فمن الخطر في رأيه مواجهة هذا الخصم القوي والطريقة الوحيدة المتاحة هي العمل غير المباشر غير المحسوس وشبه الصامت الذي يعمل عمل الدواء البطيء التأثير»[58].

على أن الولوع بتعليم الأهالي كانت له حدوده. فالمعمرون كانوا ضد تعليم متقدم يحول الأهالي إلى منافسين خطرين على العنصر الأوروبي[59]. والجنرال (بوجو) الذي كان من دعاة التعليم كان يوصي بعدم السماح للطلاب الجزائريين بالدخول إلى الجامعات الفرنسية مذكراً بأن الزعيم الشمال افريقي (يوغرطا)(*) الذي ثار على روما قد تعلم في المدارس الرومانية[60].

أما (فوفال) وكان هو الآخر أحد رؤساء المكاتب فقد قال: «إن العرب بصفة عامة كلما قلت دراستهم كلما قل تعصبهم وكلما سهلت قيادتهم» ويضيف: «وربما كانت هذه النظرة غير أخلاقية غير أنها مطابقة لمصالحنا»[61].

وسواء أيد الفرنسيون تعليم المسلمين أو تخوفوا منه فقد كانت له حدوده

---

(58) Jean Ganiage... **L'Afrique au XX° Siècle** صفحات 33 وما بعدها.

(59) Turin المصدر السابق ص 75.

(*) Jugurtha (160-104 ق.م) قاوم روما السنين الطوال إلى أن هزم ومات في ـ جون روما ـ.

(60) المصدر السابق ص 225.

(61) المصدر السابق ص 416 من تقرير للدكتور (بوشيه).

العملية إذ أن المسلمين ظلوا معرضين عنه لاعتقادهم أن الغرض منه هو إخراج أبنائهم من دينهم «ولم يثقوا قط في الأروام»[62].

فهل كانوا على حق في ارتيابهم؟ ثم ألم يسع الاستعماريون إلى تنصير مستعمريهم؟

إن مكانة فرنسا المتميزة بين الدول الكاثوليكية يدفعنا إلى الاعتقاد إلى أن النية لم تكن قط غائبة عن أذهانهم في التبشير ـ ذلك أن فرنسا دأبت على مناصرة الكنيسة حتى أن ملكها كان يحمل لقب «المسيحي جداً»(*) وتلقب هي «ببنت الكنيسة البكر»[63] ولا حاجة إلى العودة إلى القرون الغابرة حيث كانت فرنسا تتزعم الحملات الصليبية. فالثورة الفرنسية وفلسفة القرن الثامن عشر قوضت كثيراً من ذلك الحماس الديني. غير أن فرنسا أبقت مع ذلك في الخارج على التقليد المتمثل في الدفاع عن الكنيسة الكاثوليكية ولقد منعت حامية فرنسية جيوش إيطاليا الموحدة من دخول روما حاضرة الممالك البابوية رغم تأييد الامبراطور نابليون الثالث توحيد إيطاليا[64]. ولطالما تدخلت في أنحاء شتى من العالم لثأر لاضطهاد المبشرين أو قتلهم[65] كما تدخلت بعد حرب القرم لحماية الموارنة بالشام[65]. وناصرت الكاثوليك حتى انتصروا على الروم الأرثوذكس في صراعهم على حراسة الأماكن المقدسة المسيحية بفلسطين[66].

أما في الجزائر فلقد رأينا أن وثيقة تسليم مدينة الجزائر نصت على احترام الدين الإسلامي. إلا أن رجال الكنيسة المستعدين للتبشير «عرضوا تنصير البلدان المفتوحة حالما أعلن احتلال عاصمة الجزائر»[67] وبادر وزير التعليم يسأل الملك

---

(62) Frémy, D. et M.:Le Quid? 1974, tout pout tous, article: **Histoire de France, : étendants au trone de France.**

(*) هذا التعبير منقول حرفياً عن الفرنسية ويعني «المسيحي شديد التمسك بمسيحيته».

(63) Defrasne et Laran, **Histoire du Monde,** ص 13 و 105.

(64) Rouable, **Histoire** 1848- 1914 ص 203.

(65) Defrasne المصدر السابق ص 89.

(66) Ch. A. Julien, **Histoire de L'Algérie contemporaine** ص 159 -160.

(67) لم يكن قلق صحيفة Le Messager des Chambres إلا ظاهرة من التنافس بين الكنيستين الكاثوليكية والبرتستنتية. ينظر Turin المصدر السابق ص 37.

عن الموقف المزمع اتخاذه بالخصوص، وذات السؤال يحمل أكثر من معنى: «هل ستشجعون جلالتكم الإرساليات التبشرية أم ستسمحون بها فقط في ممتلكاتكم بإفريقيا؟» وما قلق الصحيفة الفرنسية شبه الرسمية من الحملات التبشرية البروتستنتية إلا تعبير عن التنافس بين الكنيستين[68] أما على الصعيد العملي فلقد قام القائد الحربي (روفيغو) بوضع يده على أحد أكبر مساجد الجزائر وتحويله إلى كنيسة[69].

وبعد ربع قرن من بداية الغزو بقيت هذه النية ثابتة. فهذا أحد أتباع الامبراطور يقدم إليه حلاً يخلصه من مشاكل جمعية اليسوعيين بفرنسا فينصحه بإرسالهم إلى الجزائر، رهباناً وراهبات «أما ثمت هناك أرض في حاجة لتعمير وطرق في حاجة لشق وشعب في حاجة لتنصير؟»[70].

غير أن الحكومة الفرنسية اتخذت، في ما يبدو، موقفاً متحفظاً من التبشير وربما كان ذلك لأسباب سياسية وعسكرية. ولطالما دب الخلاف بين أرباب الكنيسة الذين كانوا في عجلة من أمرهم لتحويل الشعب الجزائري إلى الدين المسيحي وبين رجال النظام الذين كانوا يخشون إثارة القلاقل والفتن، ولعل الخلاف بين الفريقين لم يكن إلا على الطريقة المثلى لبلوغ الهدف.

تأسيس أبرشية الجزائر:

لقد كان الغرض المعلن من تعيين أسقف بالمستعمرة الجديدة شد أزر المعمرين الأوروبيين الذين تملكهم القنوط في هذه البلاد الغريبة والشعب

---

(68) يورد رشيد بوجدرة في كتابه **Vies Quotidiennes** ص 96 أن مسجد الكتشاوة حول إلى كنيسة وأصبح مقراً لأبرشية الجزائر من 1832 إلى 1962 والحال أن الأبرشية لم يتم إنشاؤها إلا سنة 1832 بمرسوم 25 كما جاء في كتاب Algérie لـ Rozet et Carette ص 301 ـ غير أن تحويل المسجد لا شك أنه يعود إلى عام 1832 إذ أن المؤرخين يذكرون أن ذلك تم في عهد القائد (روفيغو) (Rovigo) الذي حكم الجزائر من 6 ديسمبر 1831 إلى 6 يوليو 1833.

(69) Turin المصدر السابق ص 23.

(70) Fawzia Sliman, **L'Oeuvre de Prosélytisme en Algérie pendant la période coloniale** بالعدد التاسع من مجلة التربية ـ طرابلس 77 -1978.

المعادي[71] لكن البراءة البابوية التي أنشأت الأبرشية بتاريخ 9 أغسطس 1838 تشير إلى العودة إلى إفريقيا الرومانية قبل دخول الإسلام إليها وكان الاسم الرسمي الذي أطلقه البابا (غريغوريو) السادس عشر على هذا الكرسي الجديد هو أبرشية (يوليا قيصرية) لأنهم كانوا يعتقدون أن مدينة الجزائر تحتل موقع عاصمة موريطانيا القيصرية القديمة[72]. وكان كثير من الكاثوليكيين لتلك الفترة يحلمون بإعادة بناء كنيسة إفريقيا كما كانت في سالف العصور «بإعادة المسلمين إلى الدين الحق» حسب زعمهم ـ وكان أول أسقف (دوبوش)(*) يعد نفسه أسقف العرب كذلك مثلما هو أسقف الأوروبيين وظن نفسه قد أوكل إليه القدر مهمة إحياء كنيسة القديس أوغسطينوس[73] وظن أن سكان منطقة القبائل الجبلية ليسوا مسلمين إلا سطحياً وأنه لن يجد كبير عناء في إدخالهم في دينه. فصرف المبالغ الطائلة من أجل ذلك دون جدوى[74].

والواقع أن الكنيسة قد فشلت في تعاملها مع الأوروبيين الذين جاؤوا من مدن فرنسا وغيرها حيث كانت تستهويهم النظريات المادية وتنخرهم البطالة وكانوا أبعد ما يكونون عن الإيمان[75] وربما واجهوا الكهنة الذين يأتون لوعظهم في تجمعاتهم بالحجارة[76] ووجدوا في المسلمين شعباً مشبعاً بالإيمان فظن رجال الكنيسة أنه سيكون من اليسير عليهم تحويل تلك الشحنة من الإيمان إلى الدين المسيحي[76].

ولم يكن الأسقف (بافي)(**) الذي خلف (دوبوش) أقل طموحاً منه وإن كان يجامل القادة العسكريين. ولقد كان لا يتورع في كيل الشتائم للإسلام ولنبيه الكريم. ولما فشل في المدينة حول اهتمامه إلى القبائل.

---

(71) Ch. A. Julien, **L'Histoire de L'Algérie...** المصدر السابق ص 160.

(72) M. Emerit المصدر السابق.

(*) Dupuch

(73) Fawzia Sliman المصدر السابق ص 10 وما بعدها.

(74) Emerit المصدر السابق ص.

(75) Julien, **Histoire** المصدر السابق ص

(76) المصدر السابق.

(*) Pary

ثم كان تأسيس رئاسة الأسقفية عام 1867 وتعيين الكردينال (لافيجرى) للمنصب الجديد وبلغ التبشير أوجه بوصوله الجزائر حيث قرر الدعوة علناً للمسيحية: «إنني لأشعر بخجل عميق للأمة الفرنسية التي بقيت قرابة أربعين سنة بحضرة شعب مسلم خاضع لها دون أن تحاول تنصيره، ليس هذا فحسب بل منعت كذلك متعمدة أية محاولة يقوم بها رجال الإكليروس في هذا الاتجاه، وإني أعتقد بأن هذا العمل رسالة إلهية اختارني الله لها»[77] وكان ينعم بدعم البابا ويهدد المسؤولين بالحرمان الديني إن هم حاولوا إعاقة عمله، وعمل هو الآخر على ترسيخ أسطورة القبائل وعاش على وهم تنصير سكان تلك المنطقة الجبلية[78].

ولقد شكلت الكوارث التي تعاقبت على شعب الجزائر في ستينيات القرن الماضي من ـ جفاف وقحط وجراد وزلازل وأوبئة ـ وأودت بخمس الأهالي، شكلت فرصة ذهبية للمطران (لافيجرى) الذي وجد فيها المناسبة المرجوة للتدخل لإغاثة الملهوفين ولم تكن مساعدته لوجه الله، بل كان يريد من ورائها مساومة الناس على دينهم[80] وكان تركيزه على منطقة القبائل حيث قبل الناس عونه فأطمعوه في قلوبهم، حتى ظن أنهم جاهزون للارتداد عن دينهم وجاء لتنصيرهم خشيت السلطات مغبة فعلته ورأت طرح السؤال صريحاً على أهل القرية المستهدفة: «هل ترغبون في اعتناق الدين الكاثوليكي أم لا؟» فما كان جواب الأهالي إلا أن قالوا: «إننا لن نترك ديننا ولن نتبع دينهم... والموت عندنا أفضل لنا من ذلك»[81].

ولم يثبط ذلك من عزم (لافيجري)(*) إلا قليلاً إذ رأى صب اهتمامه على الصبية فجمع في ملاجىء من استطاع جمعه من اللقطاء واليتامى حتى تجمع عنده ما ينيف على ألف وسبعمائة طفل، اكتظت بهم مآويه فتفشى فيها الوباء وهلك

---

(77) Emerit المصدر السابق.

(78) Ganiage المصدر السابق ص 33 وما بعدها.

(79) ينظر Julien, **Histoire**, Fawzia Sliman.

(80) Fawzia Sliman المصدر السابق ص 10 -18.

(81) Emerit المصدر السابق.

(*) Lavigerie

منهم ما يقل على نصفهم. أما الناجون فكان يريد تربيتهم تربية مسيحية وتعميدهم وتزويجهم فيما بينهم وإقامة قرى خاصة بهم. وأمكنهُ الحصول على أراضٍ شاسعة وأموال طائلة دعمه بها أساقفة فرنسا وسائر الأمم الكاثوليكية[82]. ووجد في المعمرين الملاحدة عوناً له على كرههم إياه. فكانوا يطمعون في الحصول على عمالة رخيصة طيّعة بعد أن يكون رجال الدين المسيحي قد علموهم الخنوع والقناعة. لكن الأسقف رفض تسليمهم أولئك اليتامى من مخافة أن يفسدوهم ويحولوهم إلى ملاحدة.

وحرص الباب (بيوس) التاسع 46 -1878 على إظهار مباركته عمل (لافيجري) فقام عام 1870 بتعميد يتيمين من يتامى مطران الجزائر في احتفال كبير وعد ذلك انتصاراً للكنيسة على المسجد وكان لذلك ضجة كبرى في الجزائر حيث قوى ذلك من شد المسلمين على دينهم ومن مقاطعة كل من تسول له نفسه الحيد عن الملة الإسلامية. وحذر الأهالي السلطات من سوء ما قد يقع، وكان لأحد المشائخ، هو سي ابن علي الشريف موقف حازم بالخصوص فخاطب الحكام الفرنسيين قائلاً لهم:

«إننا نفضل رؤية أبنائنا كلهم موتى على أن نراهم وقد أصبحوا نصارى، ولا مجال لمناقشتنا في هذا الشأن، ولقد وعدتمونا على رؤوس الأشهاد باحترام ديننا. فإن تعتدوا عليه فقد حنثتم ولا عهد لكم عندئذ عندنا»[83].

ورغم أن باب التجنس بالجنسية الفرنسية قد فتح في وجه المسلمين واشترطوا لذلك القبول بالقانون الفرنسي في ما يختص بالأحوال الشخصية، فإن هؤلاء عدوا ذلك ردة. ولم تغرهم مزايا وحقوق المواطنة ولم يتجنس منذ تاريخ صدور القانون إلى 1934 سوى 2,500 شخص أي بواقع 36 شخص في السنة 1865[84].

---

(82) Emerit المصدر السابق.

(83) Julien, **L'Afrique du Nord** المصدر السابق ص 33.

(84) Julien, **Histoire...** المصدر السابق ص 262.

وما يمكننا تسجيله في نهاية هذا العرض السريع هو فرط التفاؤل الذي كان يبديه المستعمرون ـ فالجوائح التي انتكبت بها الجزائر جعلت هؤلاء يطمعون في رؤية البلاد وقد خلت تماماً من سكانها الأصليين كما خلت أمريكا من سكانها الأصليين من قبل ـ والأسقف (دوبوش) ما أن حل بتلك الأرض الافريقية حتى أخذ يتصورها مسيحية رغم ما لاقى ـ في رأيه ـ من معارضة السلطة الحاكمة لتبشيره:

«عبثاً يحاول سياسيونا (منعنا من التبشير) فيوم الإسلام قد أفل. وبعد نصف قرن، لن يكون هذا الدين موجوداً إلا بين الهمج والمتوحشين. وإن أوروبا ستكمل عمل الحروب الصليبية، أحب من أحب وكره من كره وستقذف بالإسلام إلى القفار التي قد أخذ يلجأ إليها بالفعل لينقرض هناك»[85].

أما الكاتب (لويس برتران)[*] فقد حلم ببعث الكنيسة الإفريقية مثلما كانت في عهد قرطاجة اللاتينية[86] ـ لا قبلها ـ وتنبأ آخرون بقرب تنصر إقليم القبائل ـ تلك أمانيهم ـ وما دروا أن تدخل المسيحيين في البلاد قد دفع بالمسلمين إلى الاستيقاظ وأن الغزاة أنفسهم كانوا ضحية تلك اليقظة[87].

ومضى نصف القرن الذي ضربه (دوبوش) موعداً ومضى قرن، فإذا شباب الجزائر ينشد نشيده:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

وأما الذين تمكن «المبشرون» من جرهم إلى المسيحية، ربما بنية إسعادهم لا ندري؟ ـ لكن الذي نعلمه علم اليقين هو أنهم عرفوا ألوان الشقاء والتمزق والضياع والتذبذب بما جنوا عليهم ـ ولمن أراد التأكد من ذلك، أن يقرأ أعمال (جان عمروس) وأخته (مرغريت طاووس) وأمهما ليقف على معاناة تلك الأسرة من الكتاب التي ما

---

(85) A. Memmi, **Anthologie des écrivains Francais du Maghreb** ص 58.

(*) Louis Bertrand

(86) Julien, **L'Afrique du Nord en marche** ص 18.

عرفت الاستقرار في دينها الدخيل ـ فتركت الديار إذ نبذها أهلها ولم يتبنها الآخرون إذ ظلت تعد من الدرجة الثانية.

مراجع البحث

Bou jedra, R. **Vies Quotidiennes en Algérie,** Paris, 1971.

Defrasne, J. **Histoire: Le Monde de 1848 à 1914,** Paris 1962.

Emerit, M. **Le Problème de la conversion des musulmans en Algérie** in Revue Historique, Janvier- mars 1960, Paris.

Frémy, D. et M. **Le Quid?** tout pour tous, Paris 1974.

Julien, Charles- André. **L'Afrique du Nord en marche,** 3° édition, Paris 1972. **Histoire de l'algérie contempotaine,** tome I 3° edition, Paris, 1979.

Lasnier, B. **Le Siècle des révolutions,** Tunis, 1967.

Memmi, A. **Anthologie des Ecrivains Francais du Maghreb,** Paris 1969.

Ganiage, J. **L'Afrique au XX° Siècle,** Paris,1966.

Rouable, M. **Histoure** (1848- 1914), Paris, 1961.

Rozet et Carette. **Algérie,** Tunis, sans date.

Sliman, Fawazia. **L'Oeuvre de Prosélytisme en Algérie Pendant la Période coloniale,** in Bulletin of the Faculty of Education NO 9 TRIPOLI 1977- 1978.

Turin, Y. **Affrontements Culturels dans L'Algérie coloniale,** Paris, 1971.